

محاضرات في مقياس :النقد الأسلوبى

السنة الثالثة ليسانس المجموعة 3(تخصص نقد ومناهج)

د.مراد بوزكور

أولا :مفهوم الأسلوب:

تعرف كلمة أسلوب في مصادر اللغة العربية أنها "السطر من النخيل وكل طريق ممتد، والأسلوب الطريق والوجه والمذهب والجمع أساليب"¹

وقد عرف الجرجاني الأسلوب بأنه "الضرب من النظم والطريقة فيه"²

أما حازم القرطاجني فيطلق الأسلوب على التناسب في التآليف المعنوية ، فيمثل صورة الحركة الإيقاعية للمعاني في كيفية تواليها واستمرارها"³ وما في ذلك من حسن الاطراد والتناسب والتلطف في الانتقال من جهة إلى جهة أخرى والسيرورة من مقصد إلى مقصد"⁴ ويرتكز مفهوم الأسلوب عند حازم حول (التناسب بين المعاني) حيث جعله في مقابل النظم الذي يعنى بالتآليف اللفظية، بخلاف عبد القاهر الجرجاني الذي يجعل النظم شاملا لما يتعلق بالألفاظ والمعاني⁵.

وقد عرفه ابن خلدون بأنه "المنوال الذي تنسج فيه التراكيب أو القالب الذي تفرغ فيه"⁶ ثم حدد مفهوم الأسلوب في الإبداع الأدبي، فذكر أنه يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص، وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها، وسصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب، باعتبار الإعراب والبيان، فيرصها رصا كما يفعل البناء في القالب أو النساج في المنوال...⁷

يستخلص مما سبق أن أصحاب تلك التعريفات ينظرون إلى الأسلوب من زوايا مختلفة، فابن خلدون يركز على صورة الألفاظ، ويركز حازم القرطاجني على صورة المعاني، بينما يركز مفهوم الأسلوب عند عبد القاهر الجرجاني على الصورتين اللفظية و المعنوية في آن واحد دون فصل بينهما.

¹ - ان منظور، لسان العرب، ج7، ط1، دار صادر، بيروت، مادة(سلب)، ص225.

² - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مطبعة المدني ، القاهرة، 1404، ص46.

³ - إبراهيم خليل، النص الأدبي، تحليله وبنائه، مدخل إجرائي، دار الكرمل، ط1، 1985، ص227.

⁴ - حازم القرطاجني، مناهج البلغاء وسراج الأدباء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1981، ص36.

⁵ - فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية، مدخل نظري، ودراسة تطبيقية، الدار الفنية للنشر والتوزيع، والقاهرة، 1990، ص30.

⁶ - ابن خلدون، المقدمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408، ص570.

⁷ - ابن خلدون، المقدمة، تحقيق حجر عاصي، منشورات دار مكتبة الهلال، لبنان، 1988، ص353.

ثانياً: الأسلوب في النقد الحديث:

يرتبط الأسلوب بعناصر الإتصال: المؤلف والقارئ والنص، ومهما تعددت التعريفات فإنها تعود إلى هذه العناصر الثلاثة.

فصلاح فضل يرى أن علم الأسلوب على أصالة جذوره في ثقافتنا وتوفر الأسباب الظاهرية لنموه عندنا.... فإنه ينحدر من...أبويين فتيين هما :علم اللغة وعلم الجمال.

ويعرف أحمد حسن الزيات الأسلوب بأنه "طريقة الكاتب أو الشاعر في اختيار الألفاظ وتأليف الكلام"¹

بينما يعرفه أحمد الشايب بأنه "طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير"²

ومن أشهر ما قيل في الأسلوب مقولة جورج بوفون (Georges Buffon) "الأسلوب هو الرجل" ويعرف بيير جيرو الأسلوب بقوله هو: "وجه للملفوظ ينتج عن اختيار أدوات التعبير وتحدده طبيعة المتكلم أو الكتب ومقاصده"³

أم رولان بارت فيقول إن الأسلوب هو "لغى متكيفة بذاتها، ولا تغوص إلا في الأسطورة الشخصية والخفية للكاتب، كما تغوص في المادة التحتية للكلام، حيث تصوغ في المادة التحتية للكلام، حيث يتشكل أول زوج للكلمات والأشياء"⁴

ويفرق بارت بين الأسلوب ودرجة الصفر في الكتابة تبعا لطور وظيفة الأدب وفلسفته، فإذا كانت الكتابة عملية توصيلية تؤكد انتماء الكاتب إلى الجماعة التي يخاطبها ويعبر عن موقفه منها، فإن الأسلوب لغة كتفي بذاتها، تعبر عن "الأعماق الأسطورية والخاصة والسرية لمؤلف ما"⁵ دون أن يكون لها بالضرورة وظيفة التوصيل كما في الكتابة.

والأسلوب عند شارل بالي مجموعة من عناصر اللغة المؤثرة عاطفياً، على المستمع أو القارئ. ويكشف الأسلوب عن تفجر الطاقات التعبيرية والعاطفية الكامنة في اللغة، بخروجها من عالمها الافتراضي إلى حيز الوجود اللغوي.

¹ - أحمد حسن الزيات، الدفاع عن البلاغة، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1967، ص86.

² - أحمد الشايب، الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط6، 1966، ص44.

³ - بيير جيرو، أسلوب والأسلوبية، تر: منذر عياشي، مركز الإحياء القومي، بيروت، ص88.

⁴ - نفسه، ص70.

⁵ - أحمد درويش، الأسلوب والأسلوبية، مجلة فصول، المجلد الخامس، العدد 01، ص60.

ويعرف ميشال ريفاتير (Michael.Rifatterre) الأسلوب من خلال تأثير النص في المتلقي، فبواسطة النص يتم إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام ، ويحمل القارئ على الانتباه إليها بحيث إن غفل عنها يشوه النص، وإن حللها وجد لها دلالات تمييزية خاصة ، بما يسمح بتقرير أن الكلام يعبر والأسلوب يبرز¹.

وبهذا فقد اعتبر ريفاتير الأسلوب ابداعا من المنشئ وإرجاعا إلى المتلق، فالمبدع يسعى للفت انتباه المخاطب والوسيلة هي شفرات تستوجب كشفا من القارئ.

والأسلوب يخرج من كونه بصمة من بصمات الشخص ليصبح شيئا من أشياء النص، أو ليصبح هو النص نفسه وليس الشخص أو الرجل كما قال بيفون.

ثالثا: تطور الدراسات الأسلوبية:

تطورت الدراسات الأسلوبية وبلغت درجة عالية من الثراء والنضج ولم يعد النقد الأسلوبي يعتمد على الألفاظ وعلاقاتها بالجمال والتراكيب والقواعد النحوية فحسب، بل توسع علم الأسلوب ليشمل كل ما يتعلق باللغة من أصوات وتراكيب وصيغ وكلمات، فتداخل بذلك مع علم الأصوات وعلم الصرف وعلوم التراكيب والدلالة، وذلك قصد توضيح غاياته والكشف عن الخواطر والانفعالات والصور وبلوغ أقصى درجات التأثير الفني .

ثم توسع النقد الأسلوبي أكثر ليشمل على علوم ومناهج حديثة كعلم الاجتماع والفلسفة وعلم النفس، وعلوم أخرى عرفت بدقة مناهجها في إثراء النقد الأسلوبي.

يقول عناد غزوان أن الأسلوبية اللغوية "وقد أدى الاهتمام بدراسة الأسلوب وتحليله لغويا على وفق معايير لغته أو فنيا على وفق المعايير الفنية إلى ظهور ما يسمى بالأسلوبية اللغوية التي ترى أن الأسلوب قد يكون انزياحا أو انحرافا أو عدولا عن السياق اللغوي المؤلف ...أو قد يكون تكرارا للمثال أو نموذج النصي الذي يهتم به الذوق العام"²

وقد أكد عبد السلام المسدي في كتابه الأسلوبية والأسلوب أنه منذ سنة 1902 كاد يجزم مع شارل بالي Charles Bally أن علم الأسلوب قد تأسست قواعده النهائية" فإذا بروح الوثوقية تأتي عليه أطوار من النقد والشك حتى غدت آراء مؤسس علم الأسلوب تستقر اليوم كثيرا من الإشفاق ... والسبب في ذلك أن الذين تبنا وصايا بالي في التحليل الأسلوبي قد سارعوا إلى نبذ العلمانية الإنسانية،

¹ - عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط2 ، 1982، ص83.

² - عدنان غزوان ، أصداء دراسات نقدية، ص44.

فوظفوا العمل الأسلوبي بشحنات التيار الوضعي فقتلوا وليد بالي في وهده ومن أبرز هؤلاء في المدرسة الفرنسية جول ماروزو (Jules Marouzeau) ومالسال كرايسو (Malcel Cressot) وبعد ذلك ظهر على يد الألماني ليو سبيتزر (Leo Spitzer) منهج أسلوبي كل قواعده العملية منها والنظرية قد أغرقت في ذاتية التحليل.

وقد عبر ماروزو عن أزمة الدرات الأسلوبية وهي تتذبذب بين موضوعية اللسانيات ونسبية الاسقراءات منذ سنة 1941.

وفي سنة 1960 انعقدت ندوة عالمية بجامعة انديانا بالولايات المتحدة الأمريكية وكان محورها "الأسلوب" التي ألقى فيها ر. جاكوبسون (R. Jakobson) محاضراته وكان موضوعها "اللسانيات والإنشائية"

وفي سنة 1965 اطمأن الأسلوبيون ونقاد الأدب إلى ثراء البحوث الأسلوبية .

رابعاً : الأسلوبية:

الأسلوب (Le style) والأسلوبية (La stylistique) مصطلحان مختلفان بعض الشيء، فالمصطلح الأول أكثر سعة من المصطلح الثاني وهو سابق في الظهور عنه. "ولا يقتصر الفرق بينهما على السبق الزمني لأحدهما، فمصطلح الأسلوب واكب فترة طويلة مصطلح البلاغة (La rhétorique) دون أن يكون هناك تعارض بينهما، بل كان الأسلوب يقف من البلاغة موقف المساعد على تصنيف القواعد المعيارية التي تحملها إلى الفكر الأدبي والعالمي منذ عهد الحضارة الإغريقية وكتابات أرسطو على نحو خاص"¹

ولم يظهر مصطلح الأسلوبية إلا في بداية القرن العشرين مع ظهور الدراسات اللغوية الحديثة التي رأت في الأسلوب علماً يدرس لذاته ، للأسلوبية هي منهج نقدي لساني تقوم على دراسة النص الأدبي دراسة لغوية .

ولم تظهر الأسلوبية إلا مع ظهور العالم السويسري فرديناند دي سوسير (F. De Saussure) الذي أسس علم اللغة الحديث حيث يعزى إليه التفريق بين اللغة والكلام من خلال معادلته الشهيرة "اللسان في نظرنا هو اللغة ناقص الكلام"². حيث أوضح أن اللسان "نتاج اجتماعي لملكة اللغة، فهو مجموعة من الأعراف

¹ - مجلة فصول، المجلد الخامس ، ع01، من مقال (الأسلوب والأسلوبية) أحمد درويش، ص61.

² - أحمد حساني، مباحث في اللسانيات (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994، ص38.

الضرورة التي يستخدمها المجتمع لمزاولة هذه الملكة عند الأفراد"¹ ، لكن الفضل الأكبر ناله تلميذه شارل بالي (1865 - 1947 Charle Ballet) وهو باحث لساني مختص في السنسكريتية واليونانية ، ولم استوعب المفاهيم التي جاء بهادي سوسير عكف على دراسة الأسلوب، فأرسى قواعد الأسلوبية المعاصرة ابتداء من سنة 1902"².

والأسلوبية كمنهج نقدي يصنفها جون دوبوا (Jean Dubois) على أنها فرع من فروع علم اللسان ، وهذا ما يؤكد ميشال أريفي (Michel Arrivé) بقوله "الأسلوبية وصف للنص الأدبي حسب طرائق مستقاة من اللسانيات"³ وهو إثبات لدور اللسانيات في بلورة مفهوم الأسلوبية حيث يقول الهادي الجطلاوي: "الأسلوبية موضوعها النظر في الإنتاج الأدبي وهو حدث لغوي لساني"⁴ الأمر الذي أدى برومان جاكوبسون، إلى أن نادى بتوثيق العلاقة بين اللسانيات والأدب عموماً، وتلاه عبد السلام المسدي حين نادى بمد الجسور بين النقد وعلم اللسان، عن طريق علم الأسلوب"⁵

وتبحث الأسلوبية عن الجمالية التي تميز النص عن غيره أو الكاتب عن غيره من خلال اللغة وخواطر الوجدان.

والأسلوبية تهتم بالسياق للإحاطة بالدلالة، فالسياق وحده "هو الذي يوضح لنا ما إذا كانت الكلمة ينبغي ان تؤخذ على أنها تعبير موضوعي صرف، أو أنها قصد بها أساساً التعبير عن العواطف والانفعالات وإلى إثارة هذه العواطف والانفعالات"⁶

ومن الممكن القول إن الأسلوب قد مهد للأسلوبية، فهو يقوم على مبدأ الأنتاء والاختيار، للمادة الأدائية التي تقوم الدراسات الأسلوبية بمهمة تحليلها من الناحية الأسلوبية المحضة.

فمن خلال الأسلوبية نستطيع تمييز إبداع عن إبداع، انطلاقاً من لغته الحاملة له. فالأسلوبية تعتمد اعتماداً كبيراً على الدراسات اللغوية التي تمهد لدراسة النص الأدبي، كما أن الأسلوبية لا تكتفي ببنية النص كما هي البنيوية، بل تنظر أيضاً إلى ما يحيط بها نظرة شمولية تهدف من وراءها إلى خلق جماليات النص الأدبي

¹ - ينظر: أحمد حساني، المرجع نفسه، ص38.

² - ينظر، نفسه، ص51.

³ - ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص48.

⁴ - الهادي الجطلاوي، مدخل إلى الأسلوبية تنظيراً وتطبيقاً، الدار البيضاء، منشورات عيون، ط1، 1922،

ص27.

⁵ - جون لويس كابانيس، النقد الأدبي والعلوم الإنسانية، تر: عبد الجليل بن محمد، ص61.

⁶ - أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص156.

وتتويره للقرار، بالإضافة إلى علاقتها بالبلاغة العربية وما يعرف بالنزياح والتكرار والإيحاءات التي يستشفها الناقد من السياقات المختلفة .

خامسا: اتجاهات النقد الأسلوبي:

1 - الأسلوبية التعبيرية:

راح الأسلوبيون يدرسون النصوص الأدبية، فهناك من قارب الظاهرة الأسلوبية بدءا بعلاقة المبدع بالنص وهناك من حشد اهتمامه في دراسة النصوص وعلاقتها بمتلقيها، إذ يهتم بمدى استجابة القارئ للنصوص، وهناك فريق آخر أقصى كلا من المبدع والمتلقي في مقاربتهم للنصوص الإبداعية، وأبقى على النص وحده إذ يرى أن النص هو الذي يكشف عن محموله الدلالي من خلال خواصه اللغوية التي تميزه عن نص آخر، ومن ثم نجد أن مقارنة الظواهر الأسلوبية سواء ربطنا النص بمنشئه أو متلقيه أو اقتصرنا عليه دون منشئه ولا متلقيه وهذا ما دأب عليه شارل بالي وأتباعه من الأسلوبيين في تعاملهم مع النصوص الأدبية.

وقد وضع شارل بالي الطابع الوجداني محددًا في عملية التواصل بين المرسل والمتلقي ضمن الإطار اللغوي للرسالة، واهتم بالي في إطار أسلوبيته التعبيرية، بالجانب الأدائي للغة الإبلاغية من خلال تأليف المفردات والتراكيب اللغوية ورصدها جنبًا إلى جنب مما يمليه وجدان المؤلف، وقد حصر بالي أسلوبيته في اللغة الشائعة، لغة التواصل اليومي دون اللغة الأدبية، "ومن هنا كان الأسلوب عند بالي هو تتبع السمات والخصائص داخل اللغة اليومية، ثم استكشاف الجوانب العاطفية والتأثيرية والانفعالية التي تميز أداء عن أداء"¹ من شخص إلى شخص ومن بيئة إلى بيئة.

وقد تميزت الأسلوبية في مفهوم الأسلوب عن البلاغة القديمة، ولذلك ركز بالي في دراسته للأسلوب على الكلام أو الحديث اليومي باعتباره الخطاب البسيط والبعيد عن التعقيد والوعي، واشتغل كثيرا بالوصف اللغوي، ولهذا سميت أسلوبيته منذ البداية بالأسلوبية الوصفية ويخلص بالي إلى تأكيد سلطان العاطفة في العملية اللغوية، مبينا أن الإنسان في جوهره كائن عاطفي قبل كل شيء، وأن اللغة هي الكاشف الأكبر عن هذا الجوهر.

¹ - رجاء عيد، البحث الأسلوبي، معاصرة وتراث، ط1، دار المعارف، مصر، 1993، ص31.

2 - الأسلوبية النفسية (ليو سبيتزر 1887 - 1960)

من رواد الاتجاه في البحث الأسلوبي نجد الألماني ليو سبيتزر في كتابه "دراسة في الأسلوب" فهو يهتم بالذات المبدعة وخصوصية أسلوبها ويركز على شخصية المبدع عبر كتاباته وأسلوبه في التعبير وطريقته في التفكير، انطلاقاً من تفرد في الكتابة "فالأسلوب خصوصية شخصية في التعبير والتي من خلالها نتعرف على الكاتب، وذلك من خلال عناصر متعددة تعمل على تكوين هذه الشخصية الذاتية"¹

وتذهب الأسلوبية النفسية من خلال طرحها في مقارنة النص، إلى أن علم الأسلوب قادر على إدراك كل ما يتضمنه فعل الكلام من أساليب أصلية تتوفر على عناصر الفريدة أوجدتها طاقة خلاقة منبثقة من نفس مبدع، وبذلك تكون الأسلوبية النفسية أشبه بدراسة السير الذاتية للمبدعين والكتاب، وذلك بالاعتماد على استنتاج لغة النص وما تحمله من دلالات عديدة.

3 - الأسلوبية البنيوية (الوظيفية):

تتعلق هذه الأسلوبية من النص كنسق لغوي، متأثرة باللسانيات الحديثة، وخاصة علوم الصرف والتراكيب والمعاني، لرصد ما يحمله النص من دلالات وإحياءات بدءاً بمفرداته وتراكيبه المشكّلة له، وينطلق البحث الأسلوبي البنيوي في تحليله للآثار الأدبية من خلال البنى اللغوية المشكّلة لها.

ورائد هذا الاتجاه هو ميشال ريفاتير (Michel Rivateer) وقد أكد على أن الأسلوبية البنيوية تقوم على تحليل الخطاب الأدبي، والبحث الأسلوبي البنيوي ينطلق أيضاً من مدى تناسق وتضافر البنى المشكّلة للآثار الأدبية داخلياً لتكوين النص، "وليس النص الأدبي نتاجاً بسيطاً من العناصر المكونة/ بل هو بنية متكاملة تحكم العلاقات بين عناصرها قوانين خاصة بها، وتعتمد صفة كل عنصر من العناصر على بنية الكل، ولا يمكن أن يكون للعنصر وجود فيزيولوجي أو سيكولوجي قبل أن يوجد الكل، وعلى هذا الأساس فإنه لا يمكن تعريف أي عنصر منفصل إلا من خلال علاقاته التقابلية أو التضادية مع العناصر الأخرى"²

كما تعتمد أسلوبية ريفاتير على عنصر المفاجأة، فكلما زادت حدة المفاجأة، كان التأثير أكبر في نفس المتلقي، فمن مقومات نظرية ريفاتير المتعلقة بالقارئ هي ارتباط مفهوم أسلوب بعصر المفاجأة التي تصدم متقبل الرسالة وتحدث تشويشاً له،

¹ - المرجع نفسه، ص126.

² - محمد عزام، الأسلوبية منهجاً نقدياً، ط1، وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1989، ص110.

فكلما كانت السمة الأسلوبية متضمنة للمفاجأة، لأنها تحدث خلخلة وهزة في إدراك القارئ ووعيه"¹

4- الأسلوبية الإحصائية:

تعتمد الأسلوبية الإحصائية على الإحصاء الرياضي للدخول إلى عالم النصوص الأدبية، إذ يهدف التشخيص الأسلوبي الإحصائي إلى تحقيق الوصف الإحصائي، للنص، لبيان ما يميزه من خصائص أسلوبية"²

وقد انصبت جهود الأسلوبيين الإحصائيين على دراسة النصوص الإبداعية من خلال بنياتها المشكلة لها ومراعاة عدم تكرارها، كما عملت على إظهار خصائص اللغة التي اعتمدها الكاتب.

ومن رواد المنهج الإحصائي الأسلوبي في الغرب، يمكن ان نقصر على الأسماء التالية:

برنلد شبلز في مؤلفه: علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الأسلوب والبلاغة.

كراهام هاف: الأسوب والأسلوبية.

جون كوهن: بنية اللغة الشعرية.

وتتجلى الأسلوبية الإحصائية في النقد العربي المعاصر حيث تركز بين الترجمة والنقد ومحاولات التطبيق على النصوص الإبداعية العربية، ومن النقاد العرب الأسلوبيين الذي بروزا في هذا الاتجاه :

محمد الهادي الطرابلسي: الخصائص الأسلوبية في ديوان الشوقيات"

صلاح فضل: "علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته"

محمد العمري: "تحليل الخطاب الشعري"

ومن هنا نخلص إلى أن البلاغيين العرب كانوا ينظرون إلى الأسلوب من خلال سمات القوة والتناسق والجمال، مراعين في ذلك ما يقتضي الحال الذي يكون عليه المخاطب، وتبين نظرة الأسلوبيين إلى الأسلوب، مجالا مهما للدراسات النقدية، وذلك انطلاقا من نظرتم إلى الأسلوب على أنه انحراف عن المعيار المألوف في نظر الكلام الإبداعي، ومنه تبقى الأسلوبية المنهج النقدي الذي رصد مكانم الفنية

¹ - موسى سامح رباعة، الأسلوبية، مفاهيمها وتجلياتها، ص17.

² - محمد عبد العزيز الوافي، حول السلوبية الإحصائية، مجلة علامات، ج42، مج11، ديسمبر 2001، ص122.

والجمال في النصوص الإبداعية، انطلاقاً من اللغة ومن خلال ما توفره هذه اللغة من انحرافات فنية محمودة، تجعل منها الأسلوبية حقلاً لدراساتها قصد فهم قوانين النصوص الأدبية.

سادساً: آليات النقد الأسلوبي:

ينطلق النقد الأسلوبي في مقارنته للنص الأدبي من المقولات التالية: الاختيار، التركيب، الانزياح.

1 - الاختيار:

ارتبط مفهوم الاختيار بالأسلوب، وعد حداً فاصلاً بين: الجمالي وغير الجمالي. فالكلام لا يمكن أن يكتسب صفة الأسلوبية إلا إذا تحققت فيه جملة من الظواهر التعبيرية التي يفضلها المبدع دون سواها أو دون بدائلها التي يمكن أن تحل محلها، لأنها في نظره دون تلك البدائل أو أكثر ملائمة لتصوير شعوره وأداء معانيه¹.

ومن ثم كان الأسلوب ذاته اختياراً أي اختيار الكاتب لما من شأنه أن يخرج بالعبارة عن حيادها وينقلها من درجتها الصفر إلى خطاب يتميز بنفسه أو هو انتقاء يقوم به المنشئ لسمات لغوية معينة بغرض التعبير عن موقف معين².

فالاختيار الأسلوبي أو ما يعرف بالاختيار النحوي بالمعنى الشامل الذي يراعي النواحي الصوتية والصرفية والدلالية والتنظيمية.

ويكون هذا الاختيار حين يفضل المنشئ كلمة أو تركيباً يراه أصدق وأسلم في توصيل ما يريد³.

إن الاختيار يجعل من الأسلوب عملاً واعياً وقصدياً، فكل علامة لغوية من لفظ أو تركيب أو عبارة... مما هو ضمن الخطاب تقوم بوظيفتها التي حددها لها المبدع، الأمر الذي ينفي عن الأسلوب العفوية أو الإلهام التي تتذرع بها بعض التيارات الأدبية والنقدية⁴.

وللاختيار صور متعددة، منها ما يتم على مستوى اللفظ أو المعجم، بتفضيل لفظة على غيرها من البدائل، ومنها ما يتم على مستوى التركيب بحيث يفضل نمطاً

¹ - حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص 34.

² - إبراهيم عبد الله أحمد جواد، الإتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص 40، 41.

³ - نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج 1، ص 157.

⁴ - نفسه، ص 58.

ما من التركيب على غيره يعادله في أداء أصل المعنى¹. ومن صور الاختيار ما ينشأ من التعبيرات المجازية فالاختيار في هذا النوع يتجاوز اللفظ المفرد إلى التركيب باعتباره صياغة للكلمة وفق نظام لتؤدي الصورة الأدبية وظيفتها التأثيرية والإبلاغية والجمالية².

2 - التركيب:

التركيب هو مظهر الأدبية "ذلك أن الجمال في النص الأدبي إنما يعود إلى العناصر البنائية المتضافرة والمتفاعلة لا إلى عنصر بعينه"³.

والتركيب هو الذي يقوم بعملية نظن الكلمات المختارة في الخطاب الأدبي متوسلا في ذلك بعمليتي: الحضور والغياب، فالكلمات تتوزع سياقيا على امتداد خطي، ويكون لتجاوزها تأثير دلالي وصوتي وتركيبية.

كما تتوزع الكلمات غاييا في شكل تداعيات للكلمات المنتمية لنفس الجدول الدلالي، فتدخل في علاقة استبدالية، فيصبح الأسلوب بذلك شبكة لتقاطع العلاقات الركنية (العمودية) بالعلاقات الجدولية (الأفقية)⁴

وينطبق هذا التصور مع الطرح الذي قدمه جاكوبسون الذي يرى أن الحدث الأسلوبي عبارة عن "تركيب عمليتين متواليين وهما اختيار المادة التعبيرية من الرصيد اللغوي، ثم تركيب هذه المادة اللغوية بما تقتضيه بعض قواعد النحو وبما تسمح به سبل التصرف في الاستعمال"⁵.

ويدرس على المستوى التركيبي جملة من الأنماط التعبيرية منها: التقديم والتأخير الذكر والحذف التعريف والتكثير، التكرار، الجملة الإسمية والفعلية، شبه الجملة، الخبر والإنشاء... فكل خاصية أسلوبية تركيبية تختلف من حيث الأثر الدلالي والقصد أو الغاية، فالتركيب في الخطاب الأدبي له خصوصيته، حيث يستخدم العلامة اللغوية استخداما خاصا عن وعي وقصدية ولغرض إنتاج الدلالة الأدبية⁶.

¹ - حسن طبل، بلاغة الإلتفات في القرآن الكريم، ص35.

² - شكري عياد، اللغة والإبداع، ص126.

³ - حسين بوحسون، أدبية الخطاب النثري عند البشير الإبراهيمي، ص57، مخطوط.

⁴ - عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص57.

⁵ - إبراهيم عبد الله أحمد جواد، الإتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص43.

⁶ - إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص، ص134.

3 - الإنزياح:

أ - مفهوم الإنزياح:

يعد الإنزياح مؤشرا نصيا على أدبية النص وشعريته، ذلك أن الخروج النسيج اللغوي العادي في أي مستوى من مستوياته: الصوتي، التركيبي...¹

وعرّف الأسلوب على أنه انزياح أو انحراف عن قاعدة ما، أو أنه "لحن" مبرر، أو انحراف عن نموذج آخر من قول ينظر إليه على أنه نمط معياري أو هو مجموع المفارقات التي نلاحظها بين نظام التركيب اللغوي للخطاب الأدبي وغيره من الأنظمة²

ب - معايير الإنزياح:

يرى البعض إن المعيار المعتمد في الكشف عن الإنزياح في النص الأدبي يكمن في اللغة بالمفهوم السوسيري التي هي "النظام التجريدي المائل في أذهان أبناء الجماعة اللغوية، فالأسلوب ..بحسب هذا الرأي عدوان مستمر على ذلك النظام، وانتهاك مطرد لسننه وأعرافه"³.

ويرى البعض الآخر أن معيار الكشف عن الانحراف هو "المستوى النمطي الشائع من استعمال الكلام، فهذا المستوى ..خلوه من أي شيات (سمات) أسلوبية هو المعيار الذي يتحدد بالقياس إليه أي انحراف جديد"⁴.

وهناك رأي يقول إن المعيار يكمن في "الكفاءة" أو "القدرة اللغوية" وهي النموذج المثالي للغة، وهذا النموذج حسب تشومسكي، هو الذي يمكن أبناء اللغة أن يميزوا - على مستوى سطح اللغة- بين ثلاثة أنماط من التراكيب :

- تراكيب صحيحة تؤدي المعنى

- تراكيب فاسدة لخلوها من المعنى

- تراكيب ثالثة لا تنتمي إلى أي منهما .

فالاستعمال يكرس اللغة في ثلاث مستويات من الممارسة، وهي :

1 - منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، ص79.

2 - حسن طيل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص40.

3 - نفسه، الصفحة نفسها.

4 - نفسه، ص 41.

- المستوى النحوي (شربت الماء) - المستوى اللانحوي (شربت في الماء ماء) -
المستوى المرفوض (شربت ماء البحر)، وهو الذي يمثل الانحراف عن النموذج
المثالي عن الكفاءة اللغوية.

ويعتمد ميشال ريفاتير على المتلقي كمعيار لتحديد الأسلوب، فالظواهر الأسلوبية
لا تتحدد عن طريق تمثيل بناءها اللغوي الخاص القائم على الانحراف "بل بتأمل ما
يولده هذا البناء من استجابات أو إثارات لدى المتلقي"¹. بالإضافة إلى معيار المتلقي
هناك معيار "السياق" الذي يرى فيه ريفاتير القاعدة الداخلية للانحراف، إذ تتحدد
الظاهرة الأسلوبية بكونها خروجاً عن النمط السائد في السياق... عن طريق رصد
نقاط التحول في مسار السياق"²

¹ - حسن طيل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص 47.

² - المرجع نفسه، ص 49 وإبراهيم جواد، الإتجاهات الأسلوبية، ص 118.